فكر فلسفي يتجاوز المسألة اليهودية

عرف القارئ العربي، الدكتور المفكر ايلان غور- زئيف من مقالاته التي نشرت في "قضايا اسرائيلية" وهو صوت غير مألوف في الفكر الاسرائيلي واليهودي، بل يثير جدلا كبيرا وعميقا لأنه بنظريته في التربية على المنفوية يناقض أهم مقولات الصهيونية وفكرها الذي يرى في "الوطن" (أرض اسرائيل) فلسطين القاعدة الأساس لتشكل اليهودية وبقائها، وقد ذهب الكاتب أ. ب. يهوشواع إلى ما هو أبعد من ذلك في محاضرته أمام المنظمات اليهودية الأميركية في أيار ٢٠٠٦ بقوله: ان اليهودية لا تكتمل الا في وجود اليهودي في اسرائيل، أي ان المنفى ينتقص من يهودية اليهودي. أثار يهوشواع صخبا بين يهود "الدياسبورا" ليس في أميركا وحسب، بل في أماكن أخرى، وأججت عاصفته هذه المشاعر الطائفية والدينية وحتى العرقية والعنصرية بين اليهود من تل أبيب وحتى نيويورك، وها هو ايلان غور- زئيف يقول في كتابه هذا ان اليهودية لا تكتمل الا في المنفى.

رغم أن فكر غور- زئيف هو على هامش الهامش الاسرائيلي، وتصعب ترجمته بسبب تشابك أفكاره وجمله (عمل على ترجمته مجموعة من المترجمين)، الا أننا ارتأينا أن نقدمه متكاملا للقارئ العربي لأن التربية على المنفوية هي ليست مجرد نظرية، بل هي مشروع كامل يؤسس له المؤلف وينشره بين طلابه وفي مؤتمرات شارك هو في تنظيمها محليا وعالميا، وهو يمضي قدما في تحقيق أوسع انتشار لمشروعه الذي يحرر اليهودي والاسرائيلي من "عقيدة" التمسك بالوطن والأرض ودفع الثمن الباهظ من أجل البقاء على الارض وهي تتحول إلى

شعار ومحفز لارتكاب الخطايا والقتل والموت.

واضح أن المؤلف لا يطرح مشروعا سياسيا ولا نظرية سوسيولوجية لحل عقدة اليهودي التي رافقته أكثر من ألفي عام وهي مكان الاقامة، في ما يسميه الوطن التاريخي (فلسطين) او الدياسبورا، أي المنافي التي أصبحت وطنه المضخم، المرفوض والمقبول في الوقت نفسه، وهي الجحيم والجنة، وهي الوطن ونفي الوطن، فما كان أحد يمنع اليهودي خلال الألفي سنة من العيش في ما يسميه الوطن، وهناك يهود لم يغادروه، باعتباره الوطن أو مجرد مكان الاقامة الآمن، فكيف صارت الدياسبورا المركب الأهم في الثقافة اليهودية؟ المؤلف يطرح فكرا فلسفيا يحلل عمق الظاهرة الدياسبورية من جهة وأحقية الاقامة في "الوطن التاريخي"، من جهة أخرى.

لأن هذا الفكر فلسفي فانه يتخذ المسألة اليهودية عينة ونموذجا، كما يتضح من قراءة كل فصول الكتاب، فهو ينطلق أولا من مواقع ما بعد الحداثة التي تضع الانسان الفرد في المركز، والتي تحرره من كل العناصر التي تشده عنوة إلى المكان أو إلى التاريخ أو إلى الانتماءات الجمعية، الا اذا كانت هذه هي رغبته الخاصة أو ارادته الفردية، وهو أيضا يعولم المكان بحيث يصبح الكون وطنا للجميع لكي يتمكن الانسان الفرد من التخلص من الاحساس بالغربة المنفوية وهذا ما تقدمه التربية المنفوية، أي أن التربية المنفوية ستساعد الانسان في الخلاص من الاحساس بالغربة في هذا العالم.

هذا الفكرله جذور في الفلسفة الوجودية وكذلك في فلسفة التربية من مدرسة البرازيلي باولو فيريري التي تعتبر التربية التقليدية شكلا من أشكال القمع، ولا تؤدي إلا إلى صياغة انسان مقموع يخدم القوى الفاعلة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا في المجتمع الذي يعيش فيه.

كتاب جدير بالقراءة المتأنية ليس فقط لفهم المأزق اليهودي الفكري، بل أيضا لفهم مأزق الانسان الفكري في القرن الحادي والعشرين أو في مرحلة ما بعد الحداثة.

سلمان ناطور

العدل كتهديد للوجود الإسرائيلي ذاته

بدأت الحالة الإسرائيلية تعرض هذه الحقيقة القاسية: بعد أكثر من مائة عام من الوجود الإسرائيلي الفلسطيني المشترك، لا يستطيع اليهود تفادي الدفع بعملة الحياة الغالية ليحموا وجودهم ذاته. بكلمات أخرى، حتى إذا استمرت تركيبة دولة إسرائيل، فإنها ستحتمل ذلك فقط على شكل إسبارطة الأشرار. من الصعب والمؤلم بالنسبة لي أن أواجه هذه الحقيقة، لأنني بقدر ما أنا حفيد كايلا غولدهامر، التي نجت بصعوبة من مجزرة (بوغرام) كيشينيف ١٩٠٣، والتي استمرت قصصها ودروسها حافلة بالمعنى بالنسبة لي حتى اليوم، أنا ابن روبرت ويلتشيك، الذي فقد كل عائلته تقريبا في الهولوكوست، وحماه من صناعة الموت النازية، بعد أن ألقى به في قبر جماعي، أنه استطاع -حَرْفيا- أن ينبثق منه بقواه الذاتية، وابن هنّا ويلتشيك، التي فقدت زواجها الأول كمساهمة منها في الهولوكوست؛ وهذه التجارب جميعا هي التي شكلت أفقي الدياسبوري. مع ذلك أعتقد أن علينا جميعا، حتى الصهيونيين من بيننا، أن نعيد التفكير في مفاهيمنا القديمة حول الحياة اليهودية والرسالة اليهودية في إسرائيل وفي الدياسبورا (الشتات). وربما كانت البداية الصحيحة هي أن نعيد النظر في مفاهيم مركزية مثل "الدياسبورا" و"الوطن الأم" Homeland، و"العودة إلى الوطن" Homecoming. هذا الإسهاب لا يقدم لنا شيئا أقل من المصير اليهودي ومسؤوليتنا عن تحقيقه. وفي ظني أن اللحظة التاريخية الحاضرة تمكننا بالفعل من التلخيص النقدي لمحاولات المائة عام الأخيرة للتحول من الهدف اليهودي الدياسبوري عن طريق البربرة Barbarization الصهيونية للروح اليهودية، ضمن "إبادة الدياسبورا" و"العودة

إلى الوطن " و " التطبيع " Normalisation .

تحت ظروف تاريخية حاضرة، كإسرائيليين، يمنع اليهود بنائيا، إلى حد كبير، من الحياة في ضوء حافز المسيحانية، باعتبارها طليعة العالم الكونية الأخلاقية الذكية والخلاقة. هذه الرسالة اليهودية الخاصة صارت ممكنة من خلال التشرد Homelessness اليهودي الفريد. الوجود الدياسبوري، كمثال محسوس لمجتمع ليس جمعيا. حياة الشتات هي في النهاية نوع من الحياة التي يُمكّن منها " الياحيد" (الفرد، ليس بالمعيار التحرري)، كطريقة حياة أخلاقية صوفية، أو وجود يسمح للمسؤولية الأخلاقية الكونية والالتزام الواعي، بأن يتغلبا على أية عقيدة أو محتوى لعالم "الوقائع"، وأن يرفضا وعود القوة البحتة والمجد والمتعة. كل هذا تغيّر في مواجهة نجاح التعليم الصهيوني وتجسيداته السياسية. ولا غرابة في أنه لا يوجد إسرائيلي مثل ابن غافيرول، أو باروخ سبينوزا، أو كارل ماركس، أو سيغموند فرويد، أو فرانز كافكا، أو البرت آينشتاين، أو ثيودور أدورنو، أو إيمانويل ليفيناس، أو جاك دريدا. يستطيع الإنسان أن يختبر العنف الجوهري وتفاهات الحياة الإسرائيلية بمجرد القيادة على الطرق. ويستطيع الإنسان أن يلتقي قيمها غير الإنسانية المكرّسة وعواطفها وهو يواجه الهجوم الذي لا تحدي له على "عدم كفاءة الجامعة الإسرائيلية ونقص الوطنية لديها". وهناك مثال آخر، يمكن أن يكون في المتعة الشعبية التي تصاحب الاقتطاعات المالية التي تطال الثقافة العالية. وقد يكون هناك مثال آخر أيضا هو الحملة الصليبية التي لا تحدي لها ضد المحكمة العليا ومثال الأفق العام العقلي المنفتح الحر المتساوي. وكل ذلك قبل مواجهة الوقائع القاسية في معاملة العمال الأجانب، أو الضغط المخطط على الفلسطينيين. أكتب هذا بألم كبير، لا لأن المجتمع الإسرائيلي من أقسى المجتمعات، أو لأن ثقافته من أفقر ما في المجتمعات الأرضية. في هذه اللحظة ذاتها هناك عديد من النماذج الأكثر سوءا التي تمنعنا النظرية السياسية الصحيحة من أن نذكرها، بسبب الهجمات الأخلاقية والسياسية والعسكرية المركزة على المجتمع الإسرائيلي. الإبادة الجماعية المستمرة في جنوب السودان، الهجمات الروسية اليومية على الشعب الشيشاني، اجتثاث شعب التيبت وثقافتهم من قبل الصينيين، اضطهاد المسيحيين وأوضاع النساء ومثليي الجنس والأقليات الأخرى في العربية السعودية، أو اضطهاد الأقلية الروسية في إيستونيا، هي مجرد أمثلة قليلة على نقص الشجاعة وانتشار التضليل في معاملة إسرائيل. ومن الصحيح، في الوقت نفسه، وعلى الإنسان أن يواجه ذلك مهما كانت الصعوبة في الاعتراف به، أن إسرائيل أصبحت فضاء

تقل فيه المساحة الخاصة بالروح المبدعة الأصيلة والعدل الاجتماعي. لقد أصبحت إسرائ الدياسبورا النهائية للروح اليهودية. هنا، أكثر من أي مكان آخر، ليس هناك مكان "للقل اليهودي"، أو للاستقلال الثقافي اليهودي والإبداع الطليعي. إنها حقيقة حزينة، لكني أستطيع أن أتجنب، ولا يجوز أن أتجنب، مواجهتها، حتى لو كان قاسيا علي أن أعترف ليس هناك مكان لدولة إسرائيل مستقيمة. لقد عرف سانت أوغسطين أن الأمر كذل بالنسبة لجميع بيانات "المدينة الأرضية". وفي حالة إسرائيل أصبح الأمر واضحا لدرجة الانحياز الصريح ضدّ الظلم يهدد وجود إسرائيل ذاته، وليس سياساتها الحالية فقط.

بوصفنا لا حتميين علينا أن نفهم اللحظة التاريخية الحاضرة كلحظة مفتوحة، لأ بالضرورة تحتوي أيضا على إمكانية التغير الراديكالي نحو وجود إنساني عقلاني أخلاقي إسرائيل، كما في فلسطين أيضا. مع ذلك، فإن القوى الأساسية الداعمة اجتماعيا تعلن تعصب إثني أقوى، وعن إضعاف للقيم الديمقراطية، مع اهتمام قليل جدا بالتعليم من أ- تعايش إنساني ناضج، ثوري وأخلاقي. الجماعات المتنافسة، والأجندات الإسبارط ليست قادرة على التوصل إلى إجماع حول "الصالح العام"، وهي غير قادرة بالتأكيد ع الاتفاق على برنامج تعليمي محدد، يهدف إلى واقع أكثر قيمة. ما الخطأ الذي حدث لد إسرائيل؟ من أجل الإجابة على هذا السؤال، علينا أن نعود إلى الفكرة الصهيونية الجوه حول "العودة إلى الوطن".

ما الخطأ الذي حدث لإسرائيل؟

في إنكار الصهيونية للدياسبورا ابتعاد شديد عن القدر الأخلاقي اليهودي. يصحح التا هذا الانحراف ليس دون إيقاع هذا الحجم من الفقدان والمعاناة، ما يشمل تهديدا للرو وللوجود الفيزيقي، لا للتجمع اليهودي الأكبر في العالم وحسب، لكن. كما أوضح أيلول بجلاء. للعالم كله.

خلال قرن، فقد التعليم الصهيوني سذاجته، وأصيب في تفاؤله. وبإعادة النظر، واضحا لي، أن التعليم الصهيوني، منذ بداياته، فشل في مهمته الرئيسية: إنجاب ح عظيمة متينة، وكبار أدلائها. إن أصلها الجيني يشير إلى أنها لم تكن قط مسلحة بال "الصحيح"، ولا كانت مستعدة أن تصبح غير إنسانية، حتى الدرجة التي تجسد فيها جابوتينسكي، كما ورد في احدى قصائده: "سينشأ لنا عرق فخور وكريم وصلب

أو تحقيقا أصيلا لأسطورة الصابرا، التي، مثل نبات الصبار نفسه، تكون "خشنة" من الخارج، "حلوة وناعمة وأخلاقية" من الداخل. الوعود ببدائل صهيونية روحية وأخلاقية، مثل مشروع آحاد هاعام، دفعت جانبا، حتى وإن كان بعضها ما يزال له أتباع في الواقع الإسرائيلي. العنف في تطبيع التعليم الصهيوني لم يشتمل على حيوية قابلة للإنجاب؛ ولم يكن قويا بما يكفي لتجسيد فكرته الجوهرية، فكرة "اليهودي الجديد"، كما لم يكن مؤثرا بما يكفي لتطهير الإسرائيلي، الصابرا، من عقلية الغيتو. ولم يكن فعالا بكفاءة تؤسس كرَما يهوديا غير متعصب، يمد يده نحو العالم العربي. كما أنه لم يكن على سلام مع نفسه تجاه احتلال الفضاء الفلسطيني في عاصفة عنيدة تستطيع أن تقيم "السور الحديدي" ضد الخوف من العرب والكراهية والعنف.

لم يعد من الممكن للمربين المخدوعين اليوم أن ينظروا في عيون تلاميذهم ويقولوا بصدق: "أعدكم، أيها الأطفال الأعزاء/ أن الأمور ستكون قريبا أفضل بكثير". الآباء العلمانيون والأمهات غير قادرين على الوصول إلى معنى من مخاوف أطفالهم ومعاناتهم. كثير منهم يعيد التفكير في الجواب المعياري الذي أعطوه لأنفسهم ولأطفالهم في السنتين الأخيرتين: "لو أننا جعلنا قلوبنا أقسى، وكنا أكثر وحشية، واتبعنا ضوابط أقل أخلاقية، لكنا سننتصر في النهاية، وأنت، يا طفلي، سيكون لك وجود آمن في إسرائيل". أجهزة التعليم الإسرائيلي الإنساني الرسمي وغير الرسمي تواجه مهانة متصاعدة. في إسرائيل اليوم، وفي مواجهة روح رأسمالية العولمة من ناحية، والعنف الإسرائيلي الفلسطيني من ناحية أخرى، تكون الفرص كئيبة أمام استخدام مؤثر روحي لحماية مثل الصهيونية العلمانية الإنسانية التوجه، وتجاربها، ولرعايتها وتعزيزها مهما كان ثمن ذلك. ما بعد الحداثيين وبعد الصهيونيين وإنسانيو التوجه من معارضي الصهيونية يتوحدون جميعا في فهمهم أنه لا توجد فرص لواقع ديمقراطي في إسرائيل. وبعضهم قريب من طرح الحقيقة المرة التي تشير إلى أن فرص الفلسطينيين الديمقراطية (في فلسطين بمستقبل أكثر تحررا أو في أية صيغة أخرى) ستكون أسوأ. القوتان المتنافستان المتعاظمتان روحيا وسياسيا هما مشروعان لإقامة ثيوقراطية يهودية إسبارطية التوجه من ناحية، أو ثيوقراطية إسلامية ميليشية من ناحية أخرى. وحتى وإن كانت الطبقة الإسرائيلية الوسطى ما تزال أقوى مما هي لدى أعدائها، وأنها ليست عنصرية بقدر ما يزعم ضحاياها ومنافسوها، فإنها تفقد بسرعة طبقتها التحررية الهشة، وحيويتها وثقتها بنفسها واندفاعها، وبالتأكيد قلبها اليهودي. وفي مواجهة هذه الحقيقة

الديناميكية عليّ أن أسأل: ألا ترى أن الوقت قد حان في إسرائيل من أجل تعليم مضاد يع لمبادرة ذاتية لإزاحة يهودية (استبدال المكان Displacement)، ولطريقة حياة دياسبورية؟

نحو مبادرة ذاتية إسرائيلية للإزاحة

في معناه الضيق، على التعليم الدياسبوري أن يعدّ أطفالنا لحياة أفضل في منفى أبدي وعلى التعليم المضاد أن يزود الشباب الإسرائيلي بأدوات تمكّنهم من ألا يدفعوا نحو الهوامش الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجالات الرأسمالية التكنو - علمية التي ستحمله إليها مبادرتهم الذاتية لاستبدال المكان. وعليه أن يسهل الخروج الإسرائيلي الثاني لنقله إلى التشرد كوطن لهم، وإلى الحياة كمواطنين عالميين منتشين غير آمنين منفتحين خلاق أخلاقيين محبين للحياة. القدرة اللغوية والموهبة الإبداعية المثقفة والفنية والحساسية المرتج والقادرة، والجرأة في اجتياز الحدود الوجودية، والفروق الثقافية والفلسفية ستكون مركز في مثل هذا التعليم المضاد. ووعد تعليم التربية القيادية سيكون هنا ذا أهمية حيوية.

من المهم، بل المهم جدا، التأكيد على أن: المبادرة الذاتية لإزاحة اليهود من إسرائيل مشرو ديالكتيكي. من ناحية، فمن أجل تأمين "الفاعلية" بمعايير تغيير القدر المشؤوم للإسرائيلي كضحايا، هناك حاجة إلى جهود مؤسسية وجمعية، وتعليمية مضادة. إن الإخلاء الذا لإسرائيل مشروط بعديد من المستويات والأبعاد الخاصة بالتحريف الناجح للعنف، وسيا المناورة، وتطبيع التعليم، ما يخلق الإنتاجية المحتملة، والإجماع، والجهد المنسق، والثبا النسبي، أو السلام. من ناحية أخرى، فإن الفلسفة الدياسبورية الأصيلة لا تهبط قط لصا أي نوع من الجمعية collectivism، وكتعليم مضاد لا تستطيع تجنب أن تكون لا شم سوى احتمال مفتوح للفرد، وللفرد وحده ومن الفرد وحده. الانفتاح مفتوح فقط لله كمرتجِل خلاق شهواني، بروح من ينجب ويتم تأهيله من قبل تفيلات هياحيد (الص الفردية المرتجلة في معاكسة الصلاة المؤسساتية للمجموع، مينيان). هذا الانفتاح احتم يجب النضال لتحقيقه من جديد كل لحظة، لأنه لا يكون أبدا "بيتا" Home آمنا. إنه دع إلى احتمال غير مضمون قط، لكنه خطر ومكلف على الدوام. الفلسفة الدياسبورية ذ صلة بالتعليم المضاد الحالي في إسرائيل، كمحاولة خطرة للارتجال الخلاق مع الآخر و "الحقائق" المعطاة. وهو ذو أهمية حيوية لتعزيز بدايات جديدة لا يمكن التنبؤ بها أيض وليست ردود أفعال منضبطة للاحتمالات الحالية و"حاجات اللحظة". بكلمات أخر:

هو ليس واحدا من بدائل الصراع. إنه شيء آخر، وهو مختلف بشكل أساسي عن المحاولات المختلفة لتجاوز كل صور تطبيع التعليم، والثقافة السياسية والبيانات الأخرى للإجماع "المعروض". وكتجسيد ديالكتيكي أصيل للفلسفة الدياسبورية، فإن التعليم المضاد في إسرائيل لا يمكن أن يصبح ذرائعيا، ولا يمكن أن يصبح هجرة جمعية تعرض ذاتها. هو ليس مجرد معضلة سياسية أخلاقية تواجهنا هذه الأيام؛ فهو أساسا تناقض فلسفي ووجودي. وفي النهاية، فهو يبدأ ويتضمن في وبالفرد، المستعد للتغلب على نفسه/ا لفتح بوابات وجود بدوي لعاشق شجاع للحياة والإبداع. ولكنه، كمشروع تاريخي، سياسي، جمعي، فإن هجرة المبادرة الذاتية الجديدة، التي تعطي معنى جديدا للهجرة من مصر إلى إسرائيل وإلى منافي اليهود اللاحقة في الدياسبورا، صعب جدا لسبب آخر. ليست هناك ضمانة لمنفى ممتاز: التمييز والتحول إلى ضحايا ينتظران يهود إسرائيل المنفيين.

الخروج من إسرائيل ومن اليهودية إلى التحوّل الدياسبوري

الخروج الجديد يكون من إسرائيل، ومشروع بناء الأمة الصهيونية كـ "مصر" اليوم وطنا. إنه خروج من مفهوم مشوه لحياة الدياسبورا، من مفهوم "مصر" على شكل كل صور "العودة إلى الوطن" والطريقة التوحيدية لإعادة البناء أو العودة إلى جنة عدن. إنه هجرة إلى "صهيون"، ليس بمعنى أرض معينة تحكم بعنف من قبل أمة مختارة، بل إلى الفضاء الذي لا ينتهي لوجود عالم الإنسان والتجاوز مثل "صهيون" الأصيل. وهذه يجب أن تكون متجاوزة أيضا نحو وجود منتش كلي خلاق، تكون فيه الدياسبورا شاهدة على هاوية الوجود واللامعنى والمعاناة وغياب الله كحافز للتجاوز. يمنح اليهود في هذه اللحظة التاريخية هذه الهدية كرسالة كونية مأساوية، تكون في أساسها دينية وكونية، في عالم ما بعد الحداثة الخالي من الروح. ويجب أن يدعى الأفراد من كل الأمم للمشاركة في النهاية اللادينية اللاجمعية للتغلب على التوحيدية اليهودية بكل أشكالها، بهدف المحافظة على تجسيد لجوهر حقيقتها الخلاق والصراع من أجله.

وليس من غير المحتمل ألا تعمل هذه الحركة الأخلاقية غير زيادة إدانات اليهود واتهام الإسرائيليين بأنهم الضحايا النهائيون للتاريخ. هم، الضحايا النهائيون في تاريخ التوحيد، حولوا الفلسطينيين إلى ضحايا لدرجة لا يستطيعون هم أنفسهم حمل مشاعر ذنب كهذه. إخلاء كل "بيوتنا" وأرض إسرائيل انتصار للرواية الفلسطينية بشكل ما. لكن ذلك

سيكون مجرد جزء من المعاناة المقبلة التي تنتظر الإسرائيليين في حقول منافيهم في المستقبل. اللاسامية المتنامية تنتظر دون صبر مرحلتها الجديدة من التطور. لكن اللاساميا مجرد جزء من المعاناة التي يمكن أن تنتجها مبادرة ذاتية للإزاحة. وهي قد تخلق أشكالا جديدة من المعاناة على ضوء الإخلاء الفردي من كل أنواع "البيوت"، من قبل أفراد من الأمم المختلفة، والثقافات والأقدار، التي تقرر أن تكافح من أجل انعتاقها وجعل الحب حافزا للإبداع الجذري والتداخل الموضوعي الأفضل. الناس من كل سبل الحياة يمكن أ يتلاقوا، كأشخاص دياسبوريين تغلبوا على التوحيد، إذا كانوا سيلتقون بشكل أصيل كبدو خلاقين يشكلون مقاربة جديدة نحو المعنى والتضامن والذات. وكأفراد دياسبوريي سوف يكونون قد تغلبوا حتى على فكرة مينيان التقدمية اليهودية: في مواجهة غياب الله وفي غياب المعبد الذي تأسس على عقيدة واضحة، "العدل" و"التضامن" كنتاج لعنف جمعي، وسوف يقومون بخلق نوع جديد من التآزر بإعادة وضع أنفسهم في اتجاه "الآخ الكلي". صلاتهم ستكون "عفودات كوديش" (عملا مقدسا) لا يكون جوهرها ه تحقيقها، بل إمكانية أن يكون الفرد متجاوزا بواسطتها: جوهر الصلاة هو إمكانية الصلاة هذا النوع من الصلاة، هذا "التفيلات هياحيد" (الصلاة الفردية ـ غير المحددة بأي نص أ رمز تقليدي خاص بالجماعة)، تستدعي مفهوما مختلفا للاستجابة للوجود الدياسبوري ونوعا مختلفا من التآزر مع العالم ومع الآخر. هذا شرط مسبق للحياة الفلسفية كما قدم أفلاطون، وشرط مسبق لمجتمع لا إثني التمركز. وكشركاء في هذه الجماعة من الأفر المناهضين للثبات في الأرض، يمكن لبني الإنسان أن يلتقي أحدهم الآخر في حضور غيا أخروية "الآخر الكلي". نوعا الصلاة يمثلان المفهومين المتناقضين للدياسبورا و"العو إلى الوطن". الصلاة التقليدية الجمعية غير المؤسسية في الـ "مينيان" (النصاب للصلا تحافظ على موقف "عودة إلى البيت" إيجابي، بينما تفيلات هياحيد في أساسها تلقائ ومرتجلة، من النوع الذي يفترض أن الحياة هاوية خلاقة دون جسور. هي حرة من أ تفاؤل حول "العودة إلى الوطن" أو "جَسر الروايات"، وبالقدر نفسه تعلن الديا الأصيلة أكثر بكثير مما هو مسموح به في العادة من قبل الحساسية الدياسبورية المؤسسية ف الديانات المؤسسية التوحيدية. ولهذا، يصبح الأفراد الدياسبوريون تجمعا من أناس خلاق متضامنين، يبتكرون في لانهائية اللحظة الحاضرة إمكانيات دائمة الجدة، ومتصلة ٥ ذلك، ومتجاوبة، وجدلية. الحياة الدياسبورية تصبح ممكنة بالكينونة كتحول دياسبوري

الوجود من وجهة نظر أنطولوجية (علم الوجود) منفيّ عن نفسه، والكائنات الإنسانية لا تكون بصدق "في الوطن" أبدا مع نهاياتها، مع جوهرها، مع حقيقة الوجود. معظم المشاريع الفلسفية والدينية والسياسية نداءات "عودة إلى البيت" تمكن الناس من نسيان منفاهم، بعض الأوقات، بتحولهم إلى منذورين لما هو زائف، جمعي، إيماني، محلّيّ من صور الفلسفة الدياسبورية، وفي أوقات أخرى بنسيان نسيانهم للوجود الدياسبوري. وفي الإبستومولوجيا (علم المعرفة) توضح بالهاوية غير المجسورة بين المفاهيم والأشياء، واللغة والعالم. لكن الوجود الدياسبوري لا يجوز أن يتدنى ليكون تحديا إبستومولجيا، الوجود كتحول دياسبوري يمكّن من الخطاب الفلسفي. وهو ليس واحدا من البيانات. إنه يسمح للوجود الإنساني وجوهره الأخلاقي ويكيّفه. الأفراد الدياسبوريون يصبحون ممكِنين، غير مهدّدين، عن طريق إزاحات متعددة وتجليات غير محدودة من الإبداعية، وصدامات مع "حقائق" الواقع التاريخي. وهنا يلتقي الإحياء مع الوجود الدياسبوري. ولكن "لماذا يجب أن يفعلا ذلك؟" يمكن لإنسان أن يسأل. "لماذا يكون على شخص منتج وناجح نفسيا وخلقيا، وجماليا وثقافيا، ومطبع محليا، أن يستجيب لنداء تحول كهذا قد يحمل معه فقدانا للأمن والنسيان الذاتي الممتع ك "بيت"؟ وفي مستوى آخر يمكن لإنسان أن يوضح السؤال بشكل مختلف: لماذا يجب على أبناء الشعب الإسرائيلي المبادرة الذاتية إلى الإزاحة ما داموا حتى الآن غير مهزومين عسكريا أو اقتصاديا أو تكنولوجيا أو اجتماعيا من قبل العنف الفلسطيني أو الاشمئزاز العالمي؟

يبدو لي أن التاريخ يصرّ الآن على الإزاحة الاختيارية كطريقة بداوة للحياة، لصالح الإسرائيليين القادرين على الهروب، مصحوبين برأسمال كبير يتعلّم الطريق من إسرائيل غربا، بعد أكثر من مائة عام من تكاليف طريقه من الغرب إلى إسرائيل. لكن هذا الإصرار ما يزال غير ثابت كليا، وهو يترك مساحة للخداع بأن الأمور سوف تدور نحو الأحسن، و"نحن" لن يكون علينا أن نخلي "بيتنا". وتبرير ذلك في النهاية ليس قائما على الفرد العملي أو على المكاسب الجمعية والخسائر. وهنا تعارض فكرة الدياسبورا اليهودية وطليعتها الأخلاقية التعليم الصهيوني وتصطدم مع واقع إسرائيل كإسبارطة الأشرار. الحياة الجديدة، أو مجرد الحياة المتجاوزة كهدف حياة لمصير يهودي، هي هنا رهان. وهذا هو حافز الحياة الدياسبورية كأولوية.

التعليم المضاد في ضوء الفلسفة الدياسبورية

التعليم المضاد في ضوء الفلسفة الدياسبورية لا يجوز أن يكون محدودا بإعداد المبادر الذاتية لإخلاء الإسرائيليين من إسرائيل. في معناه الأوسع والأعمق، هو ليس رسال يهودية خاصة. يجب أن يكون بديلا كونيا للأفراد، الأفراد دائما وفقط، وجوديا وفلسفي وجماليا وأخلاقيا وسياسيا في تجسيده. وبذلك، عليه أن يغلب المسيحية في زعمها تجسي جوهر المسيحانية اليهودية. عليه أن يثبت خطأ المسيحية وكل أشكال التوحيد من خلا تجسيد فكرة الدياسبورا بين الأمم، أو حضور غياب المخلص، كيوتوبيا لانهائية سلبية: طريقة حياة أخلاقية خلاقة فلسفية لانهائية، وراء اللزوم والتجاوز، في كون دون إله، غي قابل للخلاص، ومقدس.

مثل هذا التعليم المضاد هو جزء وحزمة من محاولة لتجاوز التوحيدية، لا اليهودي بشكل خاص. التوحيدية في كل تجلياتها، حتى في شكل الإنسانية: لتجاوز المسعى نح الملائم، غير القابل للتساؤل، والساكن، و"المعنى"، والجمعية، و "بيت" منظم وعقلاني ورضائي. إنه إعداد للتشرد كتجل للحب الخطر للحياة، ولتشكيلات المعنى الخلاق، والحيا المثقفة الشجاعة في مواجهة الإعلان التقليدي للتضامن والحقيقة، وللتقارب الأيديولوجي مع أخروية الآخر، حتى في مواجهة إصراره على البقاء جزءا من "نحن" ضد "هم" وكتجسيد للمثال اليهودي للحياة الدياسبورية، هو تأكيد للخطر وسعادة ما لا يحدّ م الإمكانات الإنسانية في مواجهة المسؤولية الدائمة تجاه الظلم، وتجاه التلفيقات المستمرة م قبل نظام الحقائق، والأحلام، والمساعي، وحتى الذات. عليه أن يعدّ الناس، كل الناس لـ تفيلات هياحيد، في عالم دون إله، كشركاء في ميناين متحولة. للقاء العالم كبدو خلاقي أخلاقيين، ككائنات إنسانية متدينة بصدق، ومتحررة: عشاق الحياة المنفيون، المجردون م أية عواطف دوغماتية، أو مثل، أو تجارب في "ديانة" معينة باعتبارها "بيتا" لهم. هذ يعني أن على هذا التعليم المضاد أن يعدّ الحياة الدياسبورية لهؤلاء الناس، من أمثالي، الذي يصرون على الحياة في إسرائيل مقابل أية أثمان، حتى وإن تحولت أمام عيني إلى إسبارط صهيونية للسيئين. وهذا يعني أن الصلات الداخلية بين "غولا وغيئولا" (الدياسبو والإحياء) يجب أن توفر تعليما مضادا محددا وصلبا وتفصيليا في إسرائيل اليوم، ليس م أجل إعداد الخروج من الصهيونية ودولة إسرائيل وحسب، بل ما هو أكثر أهمية، احتما الحياة الدياسبورية في إسرائيل ذاتها.

كتوحيد للصراع الأخلاقي المستمر لتجسيد جوهر اليهودية، والتجاوز به نحو وجود إنساني بديل، وكحب شجاع وخلاق، مثل هذا التعليم المضاد يمكنه أن يفتح الباب أمام احتمالات جديدة لتحدي القسوة الوجودية، والأخلاقية، والنفسية، والاقتصادية، والسياسية لتجليات ظروف إسرائيل الآن. وقد يستطيع أن ينشئ، حتى في وجه نفي الروح في عالم ما بعد الحداثة، الرسالة اليهودية القديمة الجديدة بالتغلب عليها وتجسيدها كنهاية إنسانية كونية. وهو لا يبحث عن الإحياء كتجاوز إلى جنة عدن المفقودة، أو إلى تأسيس يوتوبيا أرضية إيجابية. إنها نهاية تتحدى التدين التوحيدي المؤسسي والذرائعي من ناحية، وسلع المادية "العلمانية" الرمزية وغير الرمزية وعواطف الثقافة الصناعية لما بعد الحداثة من ناحية أخرى. لا يجوز لها أن تكتفي بتعريف المساعي والأدوات الخاصة بكشف تلاعب التعليم التطبيعي، والبنية الظالمة للرأسمال العالمي من ناحية، والقومية الإسرائيلية والفلسطينية من ناحية أخرى. ولا يجوز أن تحدّ نفسها في نقد العقلانية النفعية وتدني الموضوع الإنساني من شخص ما إلى شيء ما. في اللحظة الحالية، وتحت أية شروط، يجب عليها أن تفتح أبواب الحب والتأكيد، والخلق والمسؤولية، في وجه القدرة الكلية للإنتاج الحالي للامعنى (الذي يظهر كحقيقة، كمواضيع مرغوبة للاستهلاك والتمثيل، أو كـ لا أمل). إن عليها أن تعزّز إمكانيات الارتجال في كلية اللحظة دون إهمال الوعي التاريخي، ودون عدم اعتبار قول الآخر/ حاجته، ودون تجنب المسعى اليوتوبي لخلق مفاهيم جديدة، واحتمالات، واكتشافات. وهكذا، فإن التعليم المضاد يصبح عنصر "تعويض" ممكنا حتى تحت الظروف الفلسفية والثقافية والسياسية الأقرب إلى الاستحالة.

بالتجاوز الخاص بحقيقة اليهودية، تصبح ذات صلة بكل الناس المشردين: كل الإنسانيين المتدينين بصدق، الذين يؤكدون الحياة، والحب، والخلق، وخطر عدم إنهاء الرغبة في الأمكنة لدى الذات De-territorialization، والمسؤولية الأخلاقية تجاه أخروية الآخر، وتجاه الأخروية بحد ذاتها.

في إسرائيل الحالية، التعليم المضاد من هذا النوع يمكن أن يتوّج كجسر لليهود والفلسطينيين. يمكنهم أن يدخلوا في حوار غير عنيف كشركاء فقط في المعاناة الجديدة بحب الحياة، وكمشردين، وكأشخاص دياسبوريين، ملتزمين بأن يتخطوا كل صور التعصب الإثني وكل مشروعات "العودة إلى الوطن"، على كل مستويات الحياة وأبعادها. هناك

طريق جديدة تفتح لإعادة بناء "يافني" بينة. إرادة الله: القدس الجديدة.

بناء "يافني الجديدة" لا مفر من أنه تناقضي: حتى تكون صادقة مع نفسها لا تستطيع أن تتقيد بأي مكان محدد أو مهمة. يجب أن تكون كونية، وأن تكون مجسدة في كل أبعاد الحياة الإنسانية ومستوياتها. وبهذه الصورة، يمكن أن تجسَّد حتى دون إخلاء إسرائيل: هي لا يمكن أن تتدنى إلى مستوى أن تكون مجرد إخلاء جغرافي. عليها أن تحول نفسها إلى نمط حياة بداوة كونية خلاقة خالدة، دون توراة أو حقيقة مقدسة، بل حب كلي لكل لحظة، يحتوي على إمكانيات لا تحد في الأرض غير المحدودة التي لا تكون مجرد "داخل" الفرد، أو "الواقع الخارجي". هي فضاء اللامكان، اليوتوبيا، الفضاء الذي لا يكون "بين" "داخل "الـ "أنا" والآخر، وواقعهما الخارجي، والمعنى الصادق، واللامعنى. هي المزاج الخاص لمؤسسة الذات الخلاقة التي تجعل التركيز غير "الخطّي"، الفعال، التحديق، السمع، الإنتاج، التقديم ممكنا. وهي توفر وجودا مختلفا، مأسسة ذاتية مثيرة، تكون شاملة أيضا، ومقدسة، وجمالية، كتجلٍّ للعالم. وفقط ضمن جدول عمل الفلسفة الدياسبورية التجاوزية يستطيع الإنسان أن يلتحق بهذا الجهد الخلاق الذي ينتهي، إلى مأسسة جدلية للذات مع أخروية الآخر ومع الثراء اللانهائي للكون كدياسبورا جديرة.

وكيوتوبيا سلبية للناس الدياسبوريين، فهي ترعى شراكة أصيلة بين "إسرائيليين" و"فلسطينيين". كلاهما مدعو، للتغلب على عنف ألعاب القوة التي بواسطتها، ومن خلال صور تلاعب إنتاجي، أعيد إنتاج هويتيهما الجمعية بشكل عنيف، من خلال تطبيع التعليم في المائة سنة الأخيرة. وهم مدعوون لتخطي تناقض الآخر، والالتزام بالتخريب، والمنفى، أو إعادة تعليم "هم". كأشخاص دياسبوريين، وكأفراد مسؤولين عن الآخر، فإن الإسرائيليين والفلسطينيين مدعوون لدخول نمط الحياة هذا، الحواريّ، الخطر، الشامل، وتجاوز كلا الهويتين القوميتين، الفلسطينية والإسرائيلية، والإسلام واليهودية المؤسسية: والنرجسية والنسيان الذاتي. فهل سيستجيبون، قبل أن يصبح الوقت متأخرا؟